المصدر: الحـــــوادث
التاريخ : ١٩٨٦/١٠/١٧

أفضل المبيعات.. كتب تحاكم السادات!

الكتب السياسية هي افضل المبيعـات في سـوق الكتب المصريـة .. وربما العـربية ايضا . كان موسم الكتب السياسية ، يبدأ في شهر تموز (يوليو) .. شهـر الثورة المصرية التي انفجرت عام ١٩٥٢ ، قبل ٣٤ سنة تقريبا .. وكان هذا التوقيت مناسبا لنوعية الكتب التي تطرح .. وهي كتب كانت تتحدث عن جمال عبد الناصر ، وعن الثورة ، وعن الضباط الاحرار ، وعن صراع السلطة من بداية الخمسينات الى بداية السبعينات وكان مؤلفـو هذا الطراز من الكتب ـ في الغالب ـ من شهود العيان ، ورجال الحكم الذين عاصروا تلك الايـام .. فقـد راح هؤلاء يـدفعـون بمذكراتهم الى افواه المطابع الشرهة ، التي راحت تلتهمها دون تمييز .. وكان ابرز هؤلاء : انور السادات وعبد اللطيف البغدادي ، وسيد مرعي ، وعثمان احمد عثمان ، ومحمد نجيب .. وعدد أخر ، لا بأس به من الضباط الاحرار ، والوزراء السابقين ، والصحافيين ، والكتاب .

بعد مصرع السادات في تشرين ثاني (اكتوبر) ١٩٨١ .. تغيرت نوعية الكتب السياسية التي يقبل عليها الناس ، فتغير موسم هذه الكتب الى ذكرى الاغتيال .. تغير الموسم من الصيف الى الخريف .. وكان التوقيت الجديد مناسبا لنوعية الكتب التي تطرح ايضا .. وهي كتب تتحـدث عـن شخصيـة السـادات وعصره .. واسرار مقتله .. واتفاقيـات كامب ديفيد .

وقد فتح الباب امام تلك النوعية من الكتب ، الكاتب الصحافي « محمد حسنين هيكل » بكتابه « خريف الغضب » الذي

اثـار الكثير من الاعجـاب والكثير من السخط ايضا . وصادرته السلطات في مصر ولم تسمح بدخوله وتداوله الا بعد سنوات ، كان الكتاب خلالها قـد تخطى طبعته السابعة .

في موسم العام الماضي ثبتت رؤية التغير الى التوقيت الجـديد ونـزلت الاسواق ثلاثة كتب مثيرة .. لاقت كمية هائلة من الجدل لا تقل عن كميات التوزيع الهائلة التي حققتها .. اول هذه الكتب كتاب « موسى صبري » : « السادات ـ الحقيقة والاسطورة » ، الذي دافع فيه عن الرئيس السابق ، وقدم الوجه الأخر لكتاب محمد حسنين هيكل .. ان سادات ـ هيكل كان شريرا على طول الخط ، اما سادات ـ موسى فكان ملاكا على طـول الخط .. كلاهما كان منحازا للصورة التي يعتقـدها ، او التي يتصـور السادات عليها .. او التي يريد ان يقنع الناس بهـا .. وهذا الانحيـاز ، دفع الكـاتب الصحافي « صلاح حـافظ » لان يرفض الصورتين ، ويطالب بصورة ثالثة .. او بسادات ثالث .. سادات حقيقي ، تجمع ملامح صورته بين الابيض والاسود .. بـين النجاح والفشـل .. وبين المـلاك والشيطان .

امـا الكتاب الثـاني ، فكـان كتـاب « اغتيال رئيس » للكاتب الصحافي « عادل حمودة » ، الذي قدم ـ بالوثائق ـ لاول مرة في مصر اسرار إغتيال انور السادات .. وقد شد الكتاب الانتباه ، حتى ان طبعته الاولى لم تبق في الاسواق اكثر من ٢٤ ساعة .. وخلال ثلاثة اشهر وصل عدد طبعاته ـ داخل وخارج مصر ـ الى سبع طبعات .. وفيما يبدو ، كانت السلطات في مصر قد تعلمت الدروس من كتاب « خريف الغضب » ، فامرت بعدم التعليق على الكتاب ، او حتى الهجوم عليه ، وتعاملت معه وكانه « مغص كلوي » ، لا بد من

احتماله حتى يمر .. ونفس الشيء حدث مع الكتاب الثالث الذي كتبه الصحافي الناصري عبد الله امام عن « جيهان - سيدة مصر الاولى » . الذي وضعت على غلافه صورة ملونة لجيهان السادات وهي تطعم وتداعب قردا صغيرا من فصيلة « النسناس » .. لكن تجاهل الصحافة القومية ـ المصرية هذه الكتب لم يؤثر على انتشارها ، بل على العكس ، كان هذا التجاهل مؤشرا مطمئنا للراي العام ، يؤكد انها ليست من ذلك الطراز من الكتب الذي تهلل له هذه الصحف .

وفي موعده تماما بدأ موسم هذا العام .. وكالعادة ايضا احتل السادات وعصره موضوعات كتب الموسم الجديد .. فالجنرال « كمال حسن علي » قدم كتابه « محاربون ومفاوضون » .. والكتاب رصد لمذكراته العسكرية والسياسية .. وهي بالفعل مذكرات هامة ، واهميتها تستمد من الادوار التي لعبها صاحبها .. فالجنرال « علي » كان قائد المدرعات في حرب اكتوبر .. ثم تولى منصب مدير المخابرات العامة .. ثم اصبح وزيرا للحربية في وقت كان عليه فيه متابعة مراحل الانسحاب العسكري الاسرائيلي من سيناء .. ثم تولى منصب وزير الخارجية في وقت كان عليه ان يكمل تنفيذ الجوانب المدنية من اتفاقيات كامب ديفيد .. وقبل ان يخرج من السلطة ، ويصبح رئيس مجلس ادارة احد البنوك المشتركة في مصر ، كان رئيس الحكومة قبل ان يتولى المنصب الدكتور علي لطفي .

ان كل هذه الوظائف ، جعلت من كمال حسن علي المهندس المنفذ لمرحلة الصلح مع اسرائيل .. وهي مرحلة غير عادية ، لا تزال تمتلىء بالاسرار ، والتفاصيل المجهولة .. على الاقل من وجهة نظر المصريين .. فعلى الجانب الآخر : الجانب الاميركي ـ الاسرائيلي ، تدفقت الكتب التي تفضح ما حدث .. من خلال مذكرات

المسؤولين الكبار . وقد لخص هذه المذكرات ، كتاب تصادف نزوله الاسواق في مصر ، هو كتاب « حدث في كامب ديفيد » ، وهو ترجمة للكتاب الاسرائيلي « عام الحمامة » الذي صدر في شتاء ١٩٧٩ ، بقلم ايتان هابر ، وزيف شيف ، وايهود يعارى ، وقد ترجم الكتاب ابراهيم منصور ، لكنه اضاف اليه هوامش ضخمة جدا ، مستمدة من روايات ومذكرات اسماعيل فهمي (وزير الخارجية المصري الذي استقال عشية رحلة السادات الى القدس) ، ومحمد ابراهيم كامل (وزير الخارجية المصري الذي استقال قبل توقيع اتفاقيات كامب ديفيد) ، وجيمي كارتر ، وموشي ديان (وزير الخارجية الاسرائيلي وقت التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد) وعيزرا فايتسمان (عضو الوفد الاسرائيلي في مفاوضات كامب ديفيد) .. وقد كانت هوامش المترجم وشهادات هؤلاء اكبر من حجم الكتاب الاصلي .. مما جعلنا امام كتاب مختلف .. وجعلنا امام اسلوب جديد في تقديم الكتب المترجمة ، خاصة الاسرائيلية منها .

في هذا الموسم ايضا ، ستقدم دار سينا كتابا عن قضية اغتيال السادات ايضا .. الكتاب عنوانه « محاكمة فرعون » .. وفرعون المقصود هنا بالطبع هو الرئيس السادات ، الذي كان يعتبر نفسه آخر الفراعنة الذين حكموا مصر .. لكن .. المفاجأة الحقيقية في الكتاب ان مؤلفه ليس صحافيا او كاتبا محترفا ، انما هو محام ، اشتهر بميوله الناصرية ، واشتهر بالدفاع عن المتهمين في القضايا السياسية مثل قضية تنظيم « الجهاد » ، ومثل قضية اغتيال السادات ، حيث كان محامي المتهم الثاني عبد الحميد عبد السلام ، وقد اتاح له هذا الموقع ان يعرف كل

الاسرار ، وان يضع يده على كل الاوراق ، وان يحاور المتهمين ويعرف منهم حقيقة ما حدث .. وقد صاغ كل ذلك في كتابه ، وهو الكتاب الاول له ، وان كان من المتوقع ان يحقق له الكثير من الشهرة والإعجاب خارج قاعات المحاكم .

في هذا الموسم كذلك ، سيقدم الكاتب احمد بهاء الدين كتابه عن السادات تحت عنوان « محاورات مع السادات » ، والذين يعرفون حياد ودقة وموضوعية احمد بهاء الدين ، يتوقعون ان يكون الكتاب متمتعا بهذه الصفات ، وان يقدم الصورة الحقيقية للسادات .

واحمد بهاء الدين يرى ان السادات شخصية بالغة التعقيد ، وشديد التنوع .. « واظن انه سيبقى من الشخصيات التاريخية التي تحيط بها الكثير من الالغاز والاسرار ، والتفسيرات الى امد طويل » .

ويعتقد احمد بهاء الدين انه تاخر في الكتابة عن السادات لانه رحل عن المسرح السياسي منذ ست سنوات . الا ان التاخير كان يبرره الابتعاد عن المعركة التي دارت حول شخص السادات بعد رحيله .. « ولم يكن في ذهني ان اضيف الى هذه المعركة او ان اشارك في هذا الاتجاه ليس بمعنى الحياد المطلق ، ولكن بمعنى ان تركيزي كان دائما على القضايا لا على الاشخاص » .. « انني اعترف انها مغامرة ، فانا اردد كلاما ونقلا مباشرا عن انور السادات وهو رجل دولة لم يعد موجودا بيننا ، وبالتالي من السهل ان يصدق الناس ما اقول او يكذبوه ولكنني قررت ان اسجل ـ باقصى درجة من التجرد والامانة ـ وان اترك الحكم عليها للقراء » .

وفي كتابه يكشف احمد بهاء الدين ان علاقته بالسادات بدات بعد ثورة ١٩٥٢ بقليل ، لكنها توطدت بعد ان اصبح

عضوا في اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الآسيوية والافريقية التي رأسها السادات .. ثم اصبحت هذه العلاقة شخصية بسبب قرب سكنهما .. حيث كان السادات يطلبه « للدردشة » في بيته .. الا انه بعد ان اصبح السادات رئيسا للجمهورية اصبحت العلاقة بينهما غريبة « وتراوحت بين الاتفاق والاختلاف وبين الرضا والغضب » .

وآخر مفاجات هذا الموسم ، كتاب محمد حسنين هيكل الاخير : « قطع ذيل الاسد » الذي ترجم الى اللغة العربية تحت عنوان « يوميات حرب السويس » ، ومن العنوان الاخير نعرف ان موضوع الكتاب عن حرب ١٩٥٦ التي عرفت بالعدوان الثلاثي .. وقد سبق ان نشر هيكل كتاباً عن نفس الموضوع عنوانه « حرب السويس - أخر حروب العمالقة » .. إلا ان الكتاب الجديد - كما يقول - يمتلىء بالوثائق النادرة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر عن تلك الفترة .. كما ان هذا الكتاب سيكون جزءاً من ثلاثية عن الصراع العربي - الاسرائيلي .. ورغم ان الكتاب بعيد عن السادات وعن عصره ، الا ان توقيت نزوله يؤكد ان الموسم انتقل فعلا من صيف تموز (يوليو) الى خريف تشرين اول (اكتوبر) .. وهذا الكتاب هو اول كتاب ينشر هيكل طبعته العربية في القاهرة ، منذ ان اختلف مع الرئيس السادات في منتصف السبعينات .. فخلال تلك الفترة كانت بيروت هي التي تتولى هذه المهمة .. وتصدر ما تطبعه له الى القاهرة ، والى غيرها من العواصم العربية .

ان موسم الكتب السياسية هذا العام ساخن .. ساخن .. وهو يؤكد ان الكتاب (الذي لا رقابة عليه) اصبح في مقدمة وسائل التعبير في مصر .. رغم وجود الصحافة الحزبية .. فمن حق اي انسان ان يصدر كتابا .. لكن ليس من حقه ان يؤسس حزباً .